الْهِجْرَةُ

وَحَدِيثُ الْقُرْآنِ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

موسوعة اعرف

وحديث القرآن عن المهاجرين والأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم

جَلَّ وَعَلَا،ذِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى،وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى .أَمَّا بَعْدُ– :فَاعْلَمْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ . رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ . أَنَّ هِجْرَةَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتِ الطَّرِيقَ إِلَى النَّصْرِ وَالْعِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَتَحْقِيقِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ، وَهِيَ الْحَرَكَةُ الَّتِي أَسَّسَتْ لِدَوْلَةِ الْعَقِيدَةِ ، وَجَعَلَهَا اللهُ سَبَبًا لإِقَامَةِ الْعَدْلِ وَ الْحَقِّ، وَبِنَاءِ الْجِيلِ الْفَرِيدِ جِيلِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ – رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين – وَهَذَا الْحَدَثُ الْعَظِيمُ غَنِيٌّ بِالْفَوَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي تَمَسُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا فِي ظِلِّ هَذَا الْوَاقِعِ الْمَرِيرِ الَّذِي تَعِيشُهُ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ لِتَسْتَلْهِمَ مِنْهُ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ وَالْعِظَاتِ، وَتَسْتَجْلِيَ الْحَقِيقَةَ، وَتَتَمَلَّى مِنْ أَنْوَارِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَي :{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }(الذّاريات : ٥٥)



•وَفِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُخْتَصَرَةِ وَالَّتِي عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ {الْهِجْرَةُ وَحَدِيثُ الْقُرْآنِ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ } سَأُلْقِي الضَّوْءَ عَلَى بَعْضِ الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَبَيَانِ حَدِيثِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالصِّفَاتِ الَّتِي اتَّصَفُوا بِهَا وَالَّتِي أَهَّلَتْهُمْ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ– الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ–لِبِنَاءِ أُمَّةٍ وَإِقَامَةِ دَوْلَةٍ مِنْ خِلَالِ تَرْبِيَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَهُمْ .

•أَوَّلًا:دُرُوسٌ تَرْبَوِيَّةٌ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ :

لَقَدْ تَجَلَّتْ عِدَّةُ دُرُوسٍ تَرْبَوِيَّة فِي الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(أ) الْفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ وَ الْيُسْرُ بَعْدَ الْعُسْرِ

– :مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى أَنَّهُ يَسْتَخْرِجُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ فَيَبْتَلِيهِمْ بِالسَّرَّاءِ لِيَسْتَخْرِجَ عِبَادَةَ الشُّكْرِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِالضَّرَّاءِ لِيَسْتَخْرِجَ عِبَادَةَ الصَّبْرِ، وَقَدْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَتَعَرَّضَ الْمُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ فِي بِدَايَةِ الدَّعْوَةِ للإِيذَاءِ وَالتَّنْكِيلِ وَشَتَّى أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرِيَ النَّاسَ

مِنْ عَجَائِبِ تَحَمُّلِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَا تَمَثَّلَ فِي الرَّسُولِ الْكَرِيمِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ فِي أَحْسَنِ بَلَاءٍ لِيَكُونَ هَذَا لِلنَّاسِ أسْوَةً فِيمَا يَفْعَلُونَ أَوْ يَتْرُكُونَ، وَكَانَ هَذَا للتَّمْحِيصِ وَبَيَانِ أَنَّ النَّصْرَ يَحْتَاجُ إِلَى ثَبَاتٍ وَبَذْلٍ وَتَضْحِيَةٍ وَأَنَّهُ بَعْدَ الضِّيقِ وَالشِّدَّةِ يَأتِي الْفَرَجُ، وَبَعْدَ الْعُسْرِ يأتِي الْيُسْرُ– .قَالَ تَعَالَى :{ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) .{ الشَّرح:٥-٦) .

–وَإِلَيْكَ بَعْضُ صُوَرِ الابْتِلَاءِ الَّتِي تَعَرَّضَ لَهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَصَحْبُهُ الْغُرُّ الْمَيَامِينُ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجْمَعِينَ .:

(1)فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مَسْعُودٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قَالَ :{ بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ . إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا الْمُرَائِي؟ أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ* آلِ فُلَانٍ فَيَعْمِد إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلَاها فَيَجِئ بِهِ ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَثَبَتَ النَّبِيُّ سَاجِدًا فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ . عَلَيْهَا السَّلَامُ . وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى وَثَبَتَ النَّبِيُّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . سَاجِدًا حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . الصَّلَاةَ قَالَ :{ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ }

ثُمَّ سَمَّى { اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرو بْن هِشَامٍ وَعُتْبَة بْن رَبِيعَة وَشَيْبَة بْن رَبِيعَة وَالْوَلِيدِ بْن عُتْبَة وَأُمَيَّة بْن خَلَف وَعُقْبَة بْن مُعَيْط وَعُمَارَة بْن الْوَلِيد } قَالَ عَبْدُ اللهِ : فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . :{ وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً } .(صحيح البخاريِّ بِرَقَم: ٥٢٠، وَالْجَزُورُ: أَيْ الْبَعِير أَوِ النَّاقَة)



(2) .وَرَوَتْ كُتُبُ السِّيرَةِ أنَّ عُتَيْبَةَ بْن أَبِي لَهَبٍ أَتَى يَوْمًا رَسُولَ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : أَنَا أَكْفُرُ ب { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى }.(النّجم: ١).

وَبِالَّذِي :{ دَنَا فَتَدَلَّى }.(النّجم:٨). ثُمَّ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ بِالْأَذَى وَشَقَّ قَمِيصَهُ وَتَفَلَ فِي وَجْهِهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِلَّا أَنَّ الْبُزَاقَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ وَحِينَئِذٍ دَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ :{ اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ }وَقَدِ اسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَدْ خَرَجَ عُتَيْبَةُ إِثْرَ ذَلِكَ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا نَزَلُوا بِالزَّرْقَاءِ مِنَ الشَّامِ طَافَ بِهِمُ الْأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَجَعَلَ عُتَيْبَةُ يَقُولُ : يَا وَيْلَ أَخِي هُوَ وَاللهِ آكِلِي كَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ عَلَيَّ ، قَتَلَنِي وَهُوَ بِمَكَّةَ وَأَنَا بِالشَّامِ ثُمَّ جَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَنَامُوا مِنْ حَوْلِهِ وَلَكِنْ جَاءَ الْأَسَدُ وَتَخَطَّاهُمْ إِلَيْهِ فَضَغَمَ رَأْسَهُ }. (دلائل النّبوّة :٢/٥٨٥، ومختصر السّيرة للشّيخ عبدالله النّجديّ ص: ١٣٥



(3) .(وَأَخْرَجَ الإمام البخاريّ . رحمه الله . فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (3856)مِنْ حَدِيثِ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيءٍ صَنَعَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ:

{ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ }.(غافر: ٢٨). الآيَةَ

(4) وَتَأَمَّلْ رِحْلَتَهُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . إِلَى الطَّائِفِ سَيْرًا عَلَى قَدَمَيْهِ جِيئَةً وَذُهُوبًا وَمَعَهُ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْن حَارِثَة وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى قَبِيلَةٍ فِي الطَّرِيقِ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ تُجِبْ إِلَيْهِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا وَفِي الطَّائِفِ أغْروا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ وَرَجَمُوا عَرَاقِيبَهُ حَتَّى اخْضَبَّ نَعْلَاهُ بِالدِّمَاءِ وَكَانَ زَيْدُ بْن حَارِثَة يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَصَابَهُ شِجَاجٌ فِي رَأسِهِ– .وَقَدْ أَخْرَجَ الإمام البخاريّ . رحمه الله . فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ (3231)مِنْ حَدِيثِ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ أنّ عَائِشَةَ . رَضِيَ اللهُ عَنْهَا . حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ للنَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: { لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا– .{ فَتَأَمَّلْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ . حَفِظَكَ اللهُ . إِذَا كَانَ هَذَا مَعَ رَأسِ الْمُؤْمِنِينَ رَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَمَا بَالُكَ بِالْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسِهِمْ ؟!

(5) كَانَ أَبُو جَهْلٍ–عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ–إِذَا سَمِعَ بِرَجُلٍ قَدْ أَسْلَمَ لَهُ شَرَفٌ وَمَنْعَةٌ أَنَّبَهُ وَأَخْزَاهُ وَأَوْعَدَهُ بِإِبْلَاغِ الْخَسَارَةِ الْفَادِحَةِ فِي الْمَالِ وَالْجَاهِ،وَإِذَا كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ. (انْظُرْ: سِيرَة ابْن هِشَام: ٣٢٠/١).

(6)وَكَانَ عَمُّ عُثْمَانَ بْن عَفَّانَ يَلُفُّهُ فِي حَصِيرٍ مِنْ وَرَقِ النَّخِيلِ ثُمَّ يُدَخِّنُهُ مِنْ تَحْتِهِ. (كِتَاب : رَحْمَة الْعَالَمِين ص: ٥٧/١)



(7) .وَلَمَّا عَلِمَتْ أُمُّ مُصْعَب بْن عُمَيْرٍ بِإِسْلَامِهِ مَنَعَتْهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَأَخْرَجَتْهُ مِنْ بَيْتِهِ وَكَانَ مِنْ أَنْعَمِ النَّاسِ عَيْشًا فَتَخَشَّفَ جِلْدُهُ تَخَشُّفَ الْحَيَّةِ. (انْظُرْ: أُسْد الْغَابَةَ: ٤٠٦/٤، وَتَلْقِيح فُهُوم أَهْلِ الْأَثَرِ ص: ٦٠ وَ رَاجِع كِتَاب: الرَّحِيق الْمَخْتُوم لصَفِيِّ الرَّحْمَن الْمُبَارَكْفُورِيِّ ص: ٩٠ ط: دار الوفاء)

(8) وَكَانَ صُهَيْب بْن سِنَان الرُّومِيُّ يُعَذَّبُ حَتَّى يَفْقِدَ وَعْيَهُ وَ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ .(انْظُرْ: الْإِصَابَة: ٢٥٥/٣،٤ وَابْن سَعْد في الطَّبَقَاتِ: ٢٤٨/٣،وَالرُّومِيُّ : لأنّهُ أُسِرَ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي جُيُوشِ الرُّومَان وَتَعَلَّمَ اللَّكْنَةَ الرُّومِيَّةَ فَلُقِّبَ بِالرُّومِيِّ وَلَكِنَّهُ عَرَبِيُّ الْأَصْلِ)

(9) .وَكَانَ بِلَالُ بْنُ رَبَاح مَوْلَى أُمَيَّة بْنِ خَلَف الْجُمَحِيِّ ، فَكَانَ أَمَيَّةُ يَضَعُ فِي عُنُقِهِ حَبْلًا ثُمَّ يُسْلِمهُ إِلَى الصِّبْيَانِ يَطُوفُونَ بِهِ جِبَالَ مَكَّةَ وَيَجُرُّونَهُ حَتَّى كَانَ الْحَبْلُ يُؤَثِّرُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ: أحَدٌ أحَدٌ ، وَكَانَ أمَيَّة يَشُدُّهُ شَدًّا ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِالْعَصَا وَيُلْجِئُهُ إِلَى الْجُلُوسِ فِي حَرِّ الشَّمْسِ كَمَا كَانَ يُكْرِهُهُ عَلَى الْجُوعِ وَأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ كَانَ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتِ الظَّهِيرَةُ فَيَطْرَحهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي الرَّمْضَاءِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَع عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ: لَا وَاللهِ لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ : أَحَدٌ أَحَدٌ وَيَقُولُ : لَوْ أَعْلَمُ كَلِمَةً هِيَ أَغْيَظ لَكُمْ مِنْهَا لَقُلْتُهَا وَمَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ يَوْمًا وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ فَاشْتَرَاهُ بِغُلَامٍ أَسْوَد وَقِيلَ: بِسَبْعِ أَوَاقٍ أَوْ خَمْسٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَأَعْتَقَهُ.(انْظُرْ:سِيرَة ابْن هِشَام: ٣١٧،٣١٨/١ وَتَلْقِيح فُهُومِ أَهْلِ الْأَثَرِ ص: ٦١ وَتَفْسِير ابْن كَثِيرٍ سُورَة النَّحْل الْآيَة: ١٠٦ (٦٤٨/٢) وَرَاجِع الرَّحِيق الْمَخْتُوم ص: ٩١.٩٠ ط: دار الوفاء).



(10) وَكَانَ عَمَّارُ بْن يَاسِرٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . مَوْلَى لِبَنِي مَخْزُوم، أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ ـوَعَلَى رَأسِهِمْ أَبُو جَهْلٍ. يُخْرِجُونَهُمْ إِلَى الْأَبْطَحِ إِذَا حَمِيَتِ الرَّمْضَاءُ فَيُعَذِّبُونَهُمْ بِحَرِّهَا ، وَمَرَّ بِهِمُ النَّبِيُّ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ :{ صَبْرًا آلَ يَاسِر فَإِنَّ مَوْعِدكُمُ الْجَنَّة }– وَفِي سَنَدِهِ مَقَالٌ – فَمَاتَ يَاسِرٌ فِي الْعَذَابِ وَطَعَنَ أَبُو جَهْلٍ سُمَيَّةَ . أمَّ عَمَّار . فِي قُبُلُهَا بِحَرْبَةٍ فَمَاتَتْ وَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدَةٍ فِي الْإِسْلَامِ وَهِيَ (سُمَيَّةُ بِنْتُ خَيَّاط) مَوْلَاةُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْن الْمُغِيرَة بْن عَبْدِ اللهِ بْن عُمَر بْن مَخْزُوم وَكَانَتْ عَجُوزًا كَبِيرَةً ضَعِيفَةً ، وَشَدَّدُوا الْعَذَابَ عَلَى (عَمَّار) بِالْحَرِّ تَارَةً، وَبِوَضْعِ الصَّخْرِ الْأَحْمَر عَلَى صَدْرِهِ تَارَةً أَخْرَى وَبِغَطِّهِ فِي الْمَاءِ حَتَّى كَانَ يَفْقِدُ وَعِيهِ وَقَالُوا لَهُ: لَا نَتْرُكُكَ حَتّىَ تَسُبَّ مُحَمّدًا أَوْ تَقُولُ فِي اللَّاتِ وَالْعُزَّى خَيْرًا فَوَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مُكْرَهًا وَ جَاءَ بَاكِيًا

مُعْتَذِرًا إِلَى النَّبِيِّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَنْزَلَ اللهُ:{ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ بَعْدَ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ }.(النَّحل:١٠٦) .(انْظُرْ: سِيرَة ابْن هِشَام: ١/ ٣٢٠،١٣٩ وطَبَقَات ابْن سَعْد : ٢٤٨/٣،٢٤٩ وَرَوَى الْجُزْءَ الْأَخِيرَ الْعُوفِيُّ عَنْ عَبْدِ الله بْن عَبَّاسٍ تَفْسِير ابْن كَثِير وَلْيُنْظَر الدُّرّ الْمَنْثُور تَفْسِير الْآيَة: ١٠٦ سُورَة النَّحْل)

(11)وَكَانَ أَبُو فُكَيْهَة . وَاسْمُهُ أَفْلَح . مَوْلًى لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَكَانَ مِنَ الْأَزْدِ فَكَانُوا يُخْرِجُونَهُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَفِي رِجْلَيْهِ قَيْدٌ مِنْ حَدِيدٍ فَيُجَرِّدُونَهُ مِنَ الثِّيَابِ وَيُبْطِحُونَهُ فِي الرَّمْضَاء ثُمَّ يَضَعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ صَخْرَةً حَتَّى لَا يَتَحَرَّكَ فَكَانَ يَبْقَى كَذَلِكَ حَتَّى لَا يَعْقِلَ فَلَمْ يَزَلْ يَعذّب كَذَلِكَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَة الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ وَكَانُوا مَرَّةً قَدْ رَبَطُوا رِجْلَهُ بِحَبْلٍ ثُمَّ جَرّوهُ وَأَلْقوهُ فِي الرَّمْضَاءِ وَخَنَقُوهُ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فَمَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فَاشْتَرَاهُ وَاعْتَقَهُ للهِ.(انْظُرْ: أُسْد الْغَابَة: ٢٤٨/٥ وَالْإِصَابَة: ٨،١٨٢/٧).

(12) وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتّ مَوْلَى أَغَار بِنْت سِبَاعٍ الْخُزَاعِيَّة وَكَانَ حَدَّادًا فَلَمَّا أَسْلَمَ عَذَّبَتْهُ مَوْلَاتُهُ بِالنَّارِ كَانَتْ تَأْتِي بِالْحَدِيدَةِ الْمُحْمَاةِ فَتَجْعَلهَا عَلَى ظَهْرِهِ أَوْ رَأسِهِ لِيَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمْ يَكُنْ يُزِيدُهُ ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ أَيْضًا يُعَذِّبُونَهُ فَيَلْوُونَ عُنُقَهُ وَيَجْذبُونَ شَعْرَهُ وَقَدْ أَلْقَوْهُ عَلَى النَّارِ ثُمَّ سَحَبُوهُ عَلَيْهَا فَمَا أَطْفَأهَا إِلَّا وَدَكَ ظَهْرِهِ. (انْظُرْ: أُسْد الْغَابَة: ٥٩١/١،٥٩٢)



(13) .وَكَانَتْ زِنِّيرَةُ أَمَةً رُومِيَّةً قَدْ أَسْلَمَتْ فَعُذِّبَتْ فِي اللهِ وَأُصِيبَتْ فِي بَصَرِهَا حَتَّى عَمِيَتْ فِقِيلَ لَهَا: أَصَابَتْكِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى ، فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ مَا أَصَابَتْنِي وَهَذَا مِنَ اللهِ وَإِنْ شَاءَ كَشَفَهُ فَأَصْبَحَتْ مِنَ الْغَدِّ وَقَدْ رَدَّ اللهُ بَصَرَهَا فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا بَعْضُ سِحْرِ مُحَمَّدٍ.(انْظُرْ: طَبَقَات ابْن سَعْد: ٢٥٦/٨ وَسِيرَة ابْن هِشَام: ٣١٨/١• .(الْحَاصِلُ أَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ اعْتَنَقَ الْإِسْلَامَ إِلَّا وَتَصَدَّى لَهُ الْمُشْرِكُونَ بِالْأَذَى وَالنَّكَالِ وَكَانَ هَذَا بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَى إِعْلَانًا وَبَيَانًا صَرِيحًا أَنَّ اعْتِنَاقَ هَذَا الدِّينِ مَسْؤلِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لَنْ يَصْلُحَ لِحَمْلِهَا إِلَّا الرِّجَالُ وَهَذِهِ الْمِحَنُ كُلُّهَا تَمْهِيدٌ للهِجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي كَانَتْ

فَرَجًا بَعْدَ شِدَّةٍ، وَيُسْرًا بَعْدَ عُسْرٍ، وَمَسَرَّةً بَعْدَ مَضَرَّةٍ، وَمِنْحَةً بَعْدَ مِحْنَةٍ) . ب)الْبَذْلُ وَالتَّضْحِيةَ مِنْ أجْلِ نُصْرَةِ الدِّين :

–مِنْ أعْظَمِ دُرُوسِ الْهِجْرَةِ تَعَلُّمُ الْبَذْلِ وَالتَّضْحِيَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى نُصْرَةً لِدِينِهِ، فَهَذَا رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَضْطَرُّ إلَى مُغَادَرَةِ بَلَدِهِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ وَتَرَعْرَعَ، وَتَرَكَ أقْرِبَاءَهُ وَعَشِيرَتَهُ، فَقَالَ وَهُوَ يُغَادِرُهَا بِنَبْرَةٍ مِنَ الْحُزْنِ: {وَاللَّهِ إِنِّي أعْلَمُ أَنَّكِ خَيْرُ أرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ}.(أخرجَهُ التِّرْمِذِيُّ:٣٩٢٥ مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيّ بْن الْحَمْرَاء–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– .(وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– يُضَحِّي بِنَفْسِهِ؛ حَيْثُ يَعْلَمُ أنَّ الْمُشْرِكِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَرْصُدُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَثِبُونَ عَلَيْهِ وَيَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُونَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَنَامُ فِي فِرَاشِ الرَّسُولِ وَيَتَسَجَّى بِبُرْدِهِ، فَأيُّ نَمُوذَج فِي الْفِدَاءِ، وَأيَّةُ تَضْحِيَة هَذِهِ؟



– .!وَهَذِهِ أمُّ سَلَمَةَ – وَهِيَ أوَّلُ امْرَأةٍ مُهَاجِرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ – تَقُولُ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا–: { لَمَّا أجْمَعَ أبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَّلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ،وَجَعَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ وَانْطَلَقَ زَوْجِي أبُو سَلَمَةَ إلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي. قَالَتْ: فَكُنْتُ أخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأجْلِسُ فِي الْأَبْطَحِ، فَمَا أزَالُ أبْكِي حَتَّى أُمْسِيَ، سَنَةً أوْ قَرِيبًا مِنْهَا، حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي أحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأى مَا بِي فَرَحِمَنِي، فَقَال لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: ألَا تُخْرِجُونَ مِنْ هَذِهِ الْمِسْكِينَةِ؟ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا؟ قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِي بِزَوْجِكِ إنْ شِئْتِ. قَالَتْ: فَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي، قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ أخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ:

وَمَا مَعِي أحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ، حَتَّى إذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أبِي طَلْحَةَ أخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، فَقَالَ: إلَى أيْنَ يَا ابْنَةَ أبِي أُمَيَّةَ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ: أَوَمَا مَعَكِ أحَدٌ؟ قُلْتُ:

مَا مَعِيَ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ وَابْنِي هَذَا. فَقَالَ: وَاللهِ مَا لَكِ مِنْ مَتْرَكٍ. فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ فَانْطَلَقَ مَعِي يَهْوِي بِي، فَوَاللهِ مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي فَحَطَّ عَنْهُ ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرِ، ثُمَّ تَنَحَّى إِلَى شَجَرَةٍ فَاضْطَّجَعَ تَحْتَهَا. فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ قَامَ إِلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَّلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ فَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ فَقَادَنِي حَتَّى يَنْزِل بِي، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ قَالَ: زَوْجُكِ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا، فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ. ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ. فَكَانَتْ تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ: مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ}. أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ.(انْظُرْ:الموسوعة في صحيح السِّيرة النَّبويَّة – العهد المكِّيّ – المجلد ١ – الصَّفحة: ٥٢٠).

–وَمِنْ نَمَاذِجِ التَّضْحِيَةِ فِي الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ التَّضْحِيَةُ بِالْمَالِ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِيمَا فَعَلَهُ الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– حِينَ أَخَذَ مَالَهُ كُلَّهُ وَلَمْ يَتْرُكْ لآلِ بَيْتِهِ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–:{ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ، احْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ، وَكَانَ خَمْسَةَ آلَافٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَم، فَانْطَلَقَ بِهِ مَعَهُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ، وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لأَرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ! قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَتِ! إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا، فَوَضَعْتُهَا فِي كَوَّةٍ فِي الْبَيْتِ، الَّتِي كَانَ أَبِي يَضَعُ أَمْوَالَهُ فِيهَا، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، ضَعْ يَدَكَ عَلَى هَذَا الْمَالِ! قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ:لَا بَأس، إِذَا تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لَكُمْ! وَلَا وَاللهِ مَا تَرَكَ لَنَا أَبِي شَيْئًا، وَلَكِنَّنِي أَرَدْتُ أَنْ أَسَكِّنَ الشَّيْخَ }.(انْظُرْ:البداية والنِّهَايَة لابن كَثِير ج ٤ ص:٤٤٨–٤٤٩)



– .وَالنَّمُوذَجُ الْآخَرُ للتَّضْحِيَةِ بِالْمَالِ يَتَجَلَّى فِي صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–، فَإِنَّهُ لَمَّا أرَادَ الْهِجْرَةَ، قَالَ لَهُ كُفَّارُ قَرِيشٍ} :أَتَيْتَنا صُعْلُوكًا فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ، ثُمَّ تُرِيدُ أنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ ، وَاللهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُمْ: أرَأيْتُمْ إنْ أعْطَيْتُكُمْ مَالِي أتُخَلُّونَ سَبِيلِي ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: رَبِحَ صُهَيبٌ رَبِحَ صُهَيبٌ }.(انْظُرْ: الْمَطَالِب الْعَالِية لابنِ حَجَر :٤/٢٨٧ ،وَسيرَة ابْنِ هِشَامٍ :١/٤٧٧) .(ج) الْأخْذُ بِالْأَسْبَابِ وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ:

– إنَّ مَفْهُومَ التّوَكُّلِ الصَّحِيحِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ هُوَ صِدْقُ اعْتِمَادِ الْقَلْبِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَ الْمَصَالِحِ وَ دَرْءِ الْمَضَارِّ وَ الْمَفَاسِدِ فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا مَعَ الْأخْذِ بِالْأسْبَابِ الْمُبَاحَةِ الْمُتَاحَةِ لَدَيْكَ دُونَ اعْتِقَادٍ فِي الْأسْبَابِ إنَّمَا الاعْتِقَادُ فِي اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَالْأسْبَابُ للجَوَارِحِ وَ لَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ إلَّا بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ– . وَمِنَ الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ للهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الْأخْذُ بِالْأسْبَابِ وَصِدْقُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَإلَيْكَ الْبَيَانُ وَالتَّفْصِيلُ:



–لَقَدْ غَادَرَ الرَّسُولُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَيْتَهُ فِي لَيْلَةِ ٢٧ مِنْ شَهْرِ صَفَر سَنَةَ ١٤ مِنَ النُّبُوَّةِ الْمُوَافِقُ ١٢/١٣ سِبْتَمْبر ٦٣٣م وَأتَي إلَى دَارِ رَفِيقِهِ وَأَمَنِّ النَّاسِ عَلَيْهِ فِي صُحْبَتِهِ وَ مَالِهِ أبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . ثُمَّ غَادَرَ هُوَ وَ صاحِبُهُ مِنْ خَوْخَةٍ فِي دَارِ أَبِي بَكْرٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أيْ مِنْ بَابٍ خَلْفِيٍّ . لِيَخْرُجَا مِنْ مَكَّةَ عَلَى عَجَلٍ وَقَبْلَ أنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

–وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ . يَعْلَمُ أنَّ قُرَيْشًا سَتَجِدُّ فِي الطَّلَبِ وَ أنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي سَتَتَّجِهُ إلَيْهِ الْأنْظَارُ لأوَّلِ وَهْلَةٍ هُوَ طَرِيقُ الْمَدِينَةِ الرَّئِيسِيُّ الْمُتَّجِهُ شَمَالاً فَسَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُضَادّهُ تَمَامًا وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاقِعُ جَنُوبَ مَكَّةَ وَ الْمُتَّجِهُ نَحْوَ الْيَمَنِ وَهَذَا مِنْ بَابِ الْأخْذِ بِالْأسْبَابِ وَ التَّعْمِيَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ نَحْوَ خَمْسَةِ أمْيَالٍ حَتَّى بَلَغَ إلَي جَبَلٍ يُعْرَفُ بِجَبَلِ ثَوْرٍ وَ هُوَ جَبَلٌ شَامِخٌ وَعِرُ الطَّرِيقِ، صَعْبُ الْمُرْتَقَى ذُو أحْجَارٍ كَثِيرَةٍ ، فَحَفِيَتْ قَدَمَا رَسُولِ اللهِ – صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وَقِيلَ:

بَلْ قَدْ كَانَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ عَلَى أطْرَافِ قَدَمَيْهِ كَيْ يَخْفِيَ أثَرَهُ فَحَفِيَتْ قَدَمَاهُ وَ أيًّا مَا كَانَ فَقَدْ حَمَلَهُ أبُو بَكْرٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . حِينَ بَلَغَ إلَى الْجَبَلِ وَ طَفِقَ يَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إلَى الْغَارِ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ هَذَا الْغَارُ الَّذِي عُرِفَ فِي التَّارِيخِ بِغَارِ ثَوْرٍ– . وَلَمَّا انْتَهَيَا إلَى الْغَارِ قَالَ أبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وَ اللهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أدْخُلَ قَبْلَكَ فَإنْ كَانَ فِيهِ شَيءٌ أصَابَنِي دُونَكَ،وَهَذَا هُوَ الْحَبُّ الصَّادِقُ لِرَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَدْ كَانَ أصْحَابُ رَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يُحِبُّونَ رَسُولَ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ– حُبًّا فَاقَ حُبَّ النَّفْسِ الَّتِى بَيْنَ الْجَنْبَيْنِ وَ هَذَا هُوَ الَّذِي دَفَعَ أحَدَ الْمُشْرِكِينَ أنْ يَقُولَ : لَقَدْ رَأيْتُ الْمُلُوكَ وَ أصْحَابَ الْمُلُوكِ فَلَمْ أرَ أحَدًا يُحِبُّ أحَدًا كَمَا يُحِبُّ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

– .فَدَخَلَ الصِّدِّيقُ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . الْغَارَ قَبْلَ رَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَكَسَحَهُ فَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ ثُقُبًا فَشَقَّ إزَارَهُ وَ سَدَّهَا بِهِ وَ بَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَألْقَمَهُمَا رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ادْخُل فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَوَضَعَ رَأسَهُ فِي حِجْرِهِ وَ نَامَ، فَلُدِغَ أبُو بَكْرٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجُحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ مَخَافَةَ أنْ يَنْتَبِهَ رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ – فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ – فَقَالَ: { مَا لَكَ يَا أبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: لُدِغْتُ فِدَاكَ أبِي وَ أمِّي، فَتَفَلَ رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ}.(رَوَاهُ رُزَيْنُ عَنْ عُمَر بْن الْخَطَّابِ وَفِيهِ: ثُمَّ انْتَفَضَ عَلَيْهِ وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ انْظُرْ: مِشْكَاة الْمَصَابِيح : ٥٦٥/٢.)



–{وَبَقِيَا فِي الْغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ السَّبْتِ وَلَيْلَةَ الْأحَدِ}.(انْظُرْ: فَتْح الْبَارِي شَرْح صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ :٣٦٣/٧).

– وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْن أبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–يَبِيتُ عِنْدَهُمَا قَالَتْ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – : وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أمْرًا يُكْتَادَانَ بِهِ إلَّا وَعَاهُ حَتَّي يَأتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَهَذَا أيْضًا مِنْ بَابِ الْأخْذِ

بِالْأَسْبَابِ وَ حَتَّى يَكُونَ الرَّسُولُ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ –عَلَى عِلْمٍ بِمَا يَدُورُ فِي صُفُوفِ الْمُشْرِكِينَ ، وَيُبَيِّنُ أَيْضًا دَوْرَ الشَّبَابِ فِي حَمْلِ هَمِّ الإِسْلَامِ وَ نُصْرَتِهِ كَمَا ظَهَرَ دَوْرُ الصِّبْيَةِ فِي مَوْقِفِ عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وَ كَذَلِكَ دَوْرُ الشُّيُوخِ فِي مَوْقِفِ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– . –
وَكَانَ يَرْعَى عَلَيْهِمَا (عَامِرُ بْن فُهَيْرَة) مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رَسْلٍ . وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا . حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَة بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ. (صحيح البخاريّ :١/٥٥٣. ٥٥٤).



–وَكَانَ (عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَة) يَتْبَعُ بِغَنَمِهِ أَثَرَ عَبْدِ اللهِ بْن أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ ذَهَابِهِ لِيُعَفِّيَ عَلَيْهِ. (سيرة ابن هشام : ١/٤٨٦– .(وَهَذَا أَيْضًا مِنْ بَابِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ للتَّعْمِيَةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَيُبَيِّنُ أَيْضًا دَوْرَ الْخَادِمِ فِي نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ– .وَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ النَّبِيُّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَصَاحِبُهُ إِلَى الْغَارِ قَامَتْ عَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . إِبْنَتَا الصِّدِّيقِ بِإِعْدَادِ الطَّعَامِ لِرَسُولِ اللهِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَصَاحِبِهِ فَأَتَتْهُمَا أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهَا . بِسُفْرَتِهِمَا وَنَسِيَتْ أَنْ تَجْعَلَ لَهَا عِصَامًا فَلَمَّا ارْتَحَلَا ذَهَبَتْ لِتُعَلِّقَ السُّفْرَةَ فَإِذَا لَيْسَ لِهَا عِصَامٌ فَشَقَّتْ نِطَاقَهَا بِاثْنَيْن فَعَلَّقَتِ السُّفْرَةَ بِوَاحِدٍ وَانْتَطَقَتْ بِالْآخَرِ فَسُمِّيَتْ : ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ. (صحيح البخاريّ : ١/٥٥٣ . ٥٥٥).
– وَهَذَا أَيْضًا مِنْ بَابِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ وَالتَّزَوُّدِ للسَّفَرِ وَبَيَانِ دَوْرِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ وَنُصْرَتِهِ .
–وَهَكَذَا عَلَّمَتْنَا الْهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ وَصِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِأَنْ لَا يَتَعَلَّقَ الْقَلْبُ بِالْأَسْبَابِ وَإِنَّمَا يَتَعَلَّق الْقَلْبُ بِمَنْ سَبَّبَ الْأَسْبَابَ وَهُوَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَحَدَاثِ الْهِجْرَةِ أَنَّهُ عِنْدَمَا وَصَلَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى بَابِ الْغَارِ كَانَ تَعَلُّقُ النَّبِيِّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . بِرَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ كَمَا جَاءَ عِنْدَ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . عَنْ أَبِي بَكْرٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فِي الْغَارِ فَرَفَعْتُ

رَأسِيَ فَإِذَا أنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ فَقُلْتُ:يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْ أنَّ بَعْضَهُمْ طَأطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا قَالَ:{ اسْكُتْ يَا أبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ، اللهُ ثَالِثُهُمَا } وَفِي لَفْظٍ:{مَاظَنُّكَ يَا أبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْن اللهُ ثَالِثُهُمَا}.

(صحيح البخاريِّ :١/٦/٥. ٥٥٨) ونحوه عند أحمد :٤/١).



-وَلِذَلِكَ عِنْدَمَا تَكَاسَلَ بَعْضُ الْمُؤمِنِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوك نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُعَاتِبُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِحَادِثِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .{التوبة:٣٨-٤١ .)

-وَقَدْ كَانَتْ مُعْجِزَةً أيَّدَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَعِنْدَمَا أحَاطَ الْمُشْرِكُونَ بِبَيْتِ النَّبِيِّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . لِيَقْتُلُوهُ كَانَتْ أعْيُنُهُم تَنْظُرُ وَلَا تَرَى وَالْآنَ عِنْدَ الْغَارِ أبْصَارُهُمْ تَرَى وَتُبْصِرُ وَلَكِنْ لَمْ تَنْظُرْ صَرَفَهَا اللهُ تَعَالَى وَرَجَعَ الْمُطَارِدُونَ حِينَ لَمْ يَبْق بَيَنَهُ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَبَيْنَهُمْ إلَّا خُطُوَاتٌ مَعْدُودَةٌ• .تَنْبِيهٌ : مَا تَنَاقَلَتْهُ كُتُبُ السِّيرَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَنْكَبُوتِ وَالْحَمَامَتَيْنِ عِنْدَ الْغَارِ أثَرٌ غَيْرُ صَحِيحٍ وَلَمْ يَثْبُتْ فَيَنْبَغِي لِدَارِسِ السِّيرَةِ أنْ يَنْتَبِهَ لِهَذِهِ الْآثَارِ الَّتِي لَا تَثْبُت وَيُبَيِّن لِلنَّاسِ أنَّهَا وَاهِيَةٌ سَاقِطَةٌ حَتَّى يَحْذَرُوهَا.

•ثَانِيًا:حَدِيثُ الْقُرْآنِ عَنِ الْمُهَاجِرِين وَالْأنْصَارِ:

لَقَدِ اتَّصَفَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأنْصَارِ بِصِفَاتٍ جَلِيلَةٍ أهَّلَتْهُمْ لِإقَامَةِ دَوْلَةٍ وَبِنَاءِ أمَّةٍ،وَقَدْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنْ بَعْضِ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَى مَائِدَةِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَإلَيْكَ الْبَيَانُ- :قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا

مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَة مِّمَّا أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَة وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ}.(الحشر:٨-٩) .(أ) المعنى الإجمالي :

-يُثْنِي اللهُ تَعَالَى عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ فَارَقُوا أمْوَالَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، مِنْ أجْلِ إعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ، فَيَقُولُ: لأصْحَابِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ مَكَّةَ إلَى الْمَدِينَةِ، الَّذِينَ أخْرَجَهُمْ كُفَّارُ قُرَيشٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ وَأمْوَالِهِمْ: نَصِيبٌ مِنَ الْفَيءِ، يَطْلُبُونَ رِزْقًا مِنَ اللهِ يَأتِيهِمْ، وَرِضًا مِنْهُ، وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ، أولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ.

- ثُمَّ يُثْنِي سُبْحَانَهُ عَلَى الْأَنْصَارِ وَيُبَيِّنُ فَضَائِلَهُمْ، فَيَقُولُ: وَالصَّحَابَةُ الْأنْصَارُ الَّذِينَ سَكَنُوا مَدِينَةَ الرَّسُولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَآمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ قَبْلِ هِجْرَةِ الْمُهَاجِرِينَ إلَيْهِمْ: يُحِبُّونَ الْمُهَاجِرِينَ إلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُ أولَئِكَ الْأنْصَارُ فِي صُدُورِهِمْ حَسَدًا مِمَّا أعْطَاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ للمُهَاجِرِينَ مِنْ فَيْءِ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَتَصَدَّقُ الْأنْصَارُ بِأمْوَالِهِمْ وَطَعَامِهِمْ؛ إيثَارًا للمُحْتَاجِينَ عَلَى أنْفُسِهِمْ، حَتَّى لَوْ كَانَ بِهِمْ فَقْرٌ وَشِدَّةُ حَاجَةٍ، وَمَنْ وَقَاهُ اللهُ مِنْ شِدَّةِ حِرصِ نَفْسِهِ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ، فَأولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) .ب) صِفَاتُ الْمُهَاجِرِينَ

- مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى:{لِلۡفُقَرَاءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ}.(الحشر:٨) .يَتَّضِحُ أنَّ الْقُرْآنَ وَصَفَ الْمُهَاجِرِينَ بِعِدَّةِ صِفَاتٍ هِيَ

(1) :الْفَقْرُ وَالاسْتِحْقَاقُ للفَيئِ :

- فَالْفَقْرُ أوّلُ صِفَةٍ للمُهَاجِرِينَ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{لِلْفُقَرَاءِ}، وَقَدْ كَانَتْ لَهُمْ بُيُوتٌ، وَكَانَ لَدَيْهِمْ أمْوَالٌ، وَأوْلَادٌ، وَأهْلٌ، لَكِنَّهُمْ تَرَكُوهَا وَأُخْرِجُوا مِنْهَا كُلّهَا، فَأصْبَحُوا فُقَرَاءً، وَهَذِهِ الصِّفَةُ تُبَيِّنُ أنَّ الْمُهَاجِرِينَ أكْثَرُ تَضْحِيَةٍ مِنَ الْأنْصَارِ، لأنَّ الْأنْصَارَ وَاسَوْا إخْوَانَهُمُ الْمُهَاجِرِينَ بِبَعْضِ أمْوَالِهِمْ، وَمُمْتَلَكَاتِهِمْ، وَهُمْ مُسْتَقِرُّونَ فِي دِيَارِهِمْ، لَكِنَّ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ يَنْزِلُوا عَنْ بَعْضِ أمْوَالِهِمْ فَقَط، بَلْ تَرَكُوهَا كُلّهَا،لِذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ نَصِيبًا مِنْ فَيئِ بَنِي النَّضِيرِ

(2) .الْهِجْرَةُ للَّهِ وَرَسُولِهِ

– الْهِجْرَةُ للَّهِ وَرَسُولِهِ هِيَ ثَانِي صِفَة للمُهَاجِرِينَ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { الْمُهَاجِرِينَ }



(3) .الْخُرُوجُ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ :

وَهِيَ ثَالِثُ صِفَةٍ للمُهَاجِرِينَ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ }، أيْ: أنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ هُمُ الَّذِينَ أحْوَجُوهُمْ للخُرُوجِ مِنْهَا، تَارِكِينَ فِيهَا دِيَارَهُمْ وَأمْوَالَهُمْ.

(4) ابْتِغَاءُ فَضْلِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ :

–وَهِيَ رَابِعُ صِفَةٍ للمُهَاجِرِينَ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا }، وَالْمُرَادُ بِالْفَضْلِ الَّذِي يَرْجُونَهُ هُوَ: أنْ يَكُونَ ثَوَابُهُمُ الْجَنَّةَ، وَ الْمَقْصُودُ بِالرِّضْوَانِ، هُوَ الرِّضْوَانُ الْوَارِدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَرِضوانٌ مِنَ اللَّهِ أكبَرُ }.(التَّوبة:٧٢)

.أيْ: { وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ } يُحِلُّهُ عَلَى أهْلِ الْجَنَّةِ { أَكْبَرُ } مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، فَإنَّ نَعِيمَهُمْ لَمْ يَطِبْ إلَّا بِرُؤيَةِ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانِهِ عَلَيْهِمْ، وَلأنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي أمَّهَا الْعَابِدُونَ، وَالنِّهَايَةُ الَّتِي سَعَى نَحْوَهَا الْمُحِبُّونَ، فَرِضَا رَبّ الْأرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، أكْبَرُ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّاتِ.

(5) نُصْرَةُ اللهِ الْعَظِيمِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ– :

وَهِيَ خَامِسُ صِفَةٍ للمُهَاجِرِينَ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }، وَالْمَقْصُودُ أنَّهُمْ يَنْصُرُونَ اللهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأنْفُسِهِمْ وَأمْوَالِهِمْ

(6) .الصِّدْقُ فِي الدِّينِ:

–وَهِيَ سَادِسُ صِفَةٍ للمُهَاجِرِينَ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }، وَالْمَقْصُودُ إنَّهُمْ صَادِقِينَ فِي دِينِهِمْ بِدَلِيلِ أنَّهُمْ هَجَرُوا مَتَاعَ الدُّنْيَا، وَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ مِنْ أجْلِ دِينِهِمْ.

(ج) صِفَاتُ الْأنْصَارِ :

– اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ لِهَذَا الدِّينِ رِجَالًا، كَانَ لَهُمُ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَالشَّرَفُ الْعَظِيمُ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ وَالنَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَإِيوَائِهِ بَعْدَ أَنْ خَذَلَهُ النَّاسُ، أَلَا وَهُمُ الْأَنْصَارُ، فَهُمْ مَنْ آوَى الرَّسُولَ وَنَصَرَ، وَكَبَتَ الْمُشْرِكِينَ وَقَهَرَ؛ وَلِهَذَا فَحُبُّهُمْ ثَابِتٌ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَبُغْضُهُمْ مُتَّقِدٌ فِي قَلْبِ كُلِّ مُنَافِقٍ– .وَقَدْ شَهِدَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ بِفَضْلِهِمْ، وَبِرِضْوَانِ اللهِ عَلَيْهِمْ؛ لِمَا قَدَّمُوا مِنْ خِدْمَةٍ لِهَذَا الدِّينِ، فَخَلَّدَ اللهُ مَدِيحَهُمْ وَرِضْوَانَهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ– .وَمِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(الحشر:٩)

.يَتَّضِحُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَصَفَ الْأَنْصَارَ بِعِدَّةِ صِفَاتٍ قَبْلَ أَنْ أَذْكُرَهَا أَشِيرُ إِلَى قِصَّةِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:

• قصة نزول الآية– :أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (**4889**)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:

{ أَلَا رَجُلٌ يُضِيفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللهُ)، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَهَبَ إِلى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَيْ، فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: (لَقَدْ عَجِبَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ)، فَأَنْزَلَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: تَسْمِيَةُ هَذَا الْأَنْصَارِيِّ بِأَبِي طَلْحَةَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .–

–وَالْآنَ مَعَ ذِكْرِ صِفَاتِ الْأَنْصَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:

(**1**) تَبَوَّءُوا الْمَدِينَةَ قَبْلَ الْمُهَاجِرِينَ:

–فَهَذِهِ صِفَتُهُمُ الْأُولَى الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي قَوْلِهِ:{ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ }.

فَالْأَنْصَارُ هُمُ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا دَارَ الْهِجْرَةِ وَالْإِيمَانِ(الْمَدِينَةَ) حَتَّى صَارَتْ مَوْئِلًا وَمَرْجِعًا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَلْجَأُ إِلَيْهِ الْمُهَاجِرُونَ، وَيَسْكُنُ بِحِمَاهُ الْمُسْلِمُونَ إِذْ كَانَتِ الْبُلْدَانُ كُلُّهَا بُلْدَانَ حَرْبٍ

وَشِرْكٍ وَشَرٍّ، فَلَمْ يَزَلْ أنْصَارُ الدِّينِ تَأوِي إلَى الْأنْصَارِ، حَتَّى انْتَشَرَ الْإسْلَامُ وَقوِيَ، وَجَعَلَ يَزِيدُ شَيْئًا شَيْئًا فَشَيْئًا، وَيَنْمُو قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ، وَالْبُلْدَانَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ.



(2)حُبُّهُمْ للمُهَاجِرِينَ– :وَهَذِهِ هِيَ صِفَتُهُمُ الثَّانِيَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي قَوْلِهِ: { يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ }.وَهَذَا لِمَحَبَّتِهِمْ للهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أحَبُّوا أحْبَابَهُ، وَأحَبُّوا مَنْ نَصَرَ دِينَهُ .

(3)سَلَامَةُ صُدُورِهِمْ لإخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ– :وَهَذِهِ هِيَ صِفَتُهُمُ الثَّانِيَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي قَوْلِهِ: { وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا }.أيْ: لَا يَحْسُدُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَخَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ الَّتِي هُمْ أهْلُهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى سَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَانْتِفَاءِ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ عَنْهَا.وَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أنَّ الْمُهَاجِرِينَ، أفْضَلُ مِنَ الْأنْصَارِ، لأنَّ اللهَ قَدَّمَهُمْ بِالذِّكْرِ، وَأخْبَرَ أنَّ الْأنْصَارَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أوتُوا، فَدَلَّ عَلَى أنَّ اللهَ تَعَالَى آتَاهُمْ مَا لَمْ يُؤتِ الْأنْصَارَ وَلَا غَيْرَهُمْ، وَلأنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ النُّصْرَةِ وَالْهِجْرَةِ.

(4) الْإيثَارُ مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ– :وَهَذِهِ هِيَ صِفَتُهُمُ الثَّانِيَةُ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فِي قَوْلِهِ: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ }.أيْ: وَمِنْ أوْصَافِ الْأنْصَارِ الَّتِي فَاقُوا بِهَا غَيْرَهُمْ، وَتَمَيَّزُوا بِهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، الْإيثَارُ، وَهُوَ أكْمَلُ أنْوَاعِ الْجُودِ، وَهُوَ الْإيثَارُ بِمَحَابِّ النَّفْسِ مِنَ الْأمْوَالِ وَغَيْرِهَا، وَبَذْلهَا للغَيْرِ مَعَ الْحَاجَةِ إلَيْهَا، بَلْ مَعَ الضَّرُورَةِ وَالْخَصَاصَةِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إلَّا مِنْ خُلُقٍ زَكِيٍّ، وَمَحَبَّةٍ للهِ تَعَالَى مُقَدَّمَةٍ عَلَى مَحَبَّةِ شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَلَذَّاتِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ الْأنْصَارِيِّ الَّذِي نَزَلَتِ الْآيَةُ بِسَبَبِهِ، حِينَ آثَرَ ضَيْفَهُ بِطعَامِهِ وَطَعَامِ أهْلِهِ وَأوْلَادِهِ وَبَاتُوا جِيَاعًا، وَالْإيثَارُ عَكْسُ الْأثَرَة، فَالْإيثَارُ مَحْمُودٌ، وَالْأثَرَةُ مَذْمُومَةٌ، لأنَّهَا مِنْ خِصَالِ الْبُخْلِ وَالشُّحِّ، وَمَنْ رُزِقَ الْإيثَارَ فَقَدْ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ،لِذَا خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بِقَوْلِهِ:{ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

}.أيْ:وَمَنْ يَقِهِ اللهُ حِرْصَ نَفْسِهِ عَلَى الْمَالِ فَيَبْذُلهُ فِي سَبِيلِهِ فَأولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ بِنَيْلِ مَا يَرْتَجُونَهُ، وَالنَّجَاةِ مِمَّا يَرْهَبُونَهُ.

• فَاللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا،وَزَكِّهَا أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا،أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، •اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا جَهِلْنَا،وَزِدْنَا عِلْمًا،نَسْألُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا،وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ،وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ،وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ،وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

• كَتَبَهُ :خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْد الْعَاطِي بْن مُحَمّد الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.



تمت بحمد الله

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية